

ملامح الحداثة في منهج الأمدي، كتبه "الموازنة" أنموذجاً

د. مصطفى تجاني

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو-نيجيريا

Mustaphatijjani2020@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2026/02/15 ؛ تاريخ القبول: 2026/03/10

Abstract:

Al-Amidi lived in the fourth century (AH) and authored his book "Al-Muwazana" However, his approach in the book is characterized by modernity, resembling the methodology of modern writers. The researcher found hallmarks of contemporary scientific research methodology in the book. Therefore, this article aims to highlight these features in this valuable critical work. The article's importance lies in helping the reader understand al-Amidi's critical culture and the objectivity of his work. Do the methodological terms he used in his "Al-Muwazana" carry the meanings of modern scientific research terminology? These are some of the questions addressed in the article. Given the nature of the subject, the researcher applied a descriptive-analytical approach in the article.

Keywords: Features, modernity, methodology, Al-Amidi, the book "Al-Muwazana"

ملخص:

نشأ الأمدي في القرن الرابع الهجري، وألف كتابه في "الموازنة"، إلا أنّ منهجه في الكتاب يتسم بالحداثة، كأنّه منهج الكتاب في العصر الحديث وفي مناخ جامعي أيضاً، فقد وجد الباحث ملامح البحث العلمي المعاصر في الكتاب. لذا يهدف المقال إلى إبراز هذه الملامح في هذا الكتاب النقدي القيم. وتبدو أهمية المقال في أنّه يساعد القارئ على معرفة ثقافة الأمدي النقدية، ومدى الموضوعية في عمله، فهل المصطلحات المنهجية التي ذكرها في موازنته تحمل معاني مصطلحات منهج البحث العلمي في العصر الحديث؟ هذه بعض التساؤلات التي يعالجها المقال، فنظراً إلى طبيعة الموضوع يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الملامح ، الحداثة ، المنهج ، الأمدي، كتاب "الموازنة"

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد؛ فقد كان النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري يختلف عن النقد في العصور السابقة له، وذلك لازدهار العلوم والثقافات الأجنبية بين الأمة العربية. ومن جانب آخر؛ فهناك علمٌ يسمى بمنهج البحث العلمي، الذي له قواعده الخاصة، والذي ظهر بمعناه الأدق في العصر الحديث، فإذا بناقد عاش في القرن الرابع الهجري وفي منهجه ملامح الحداثة، لذا أراد الباحث أن يقف على منهج الأمدي في هذا الكتاب للكشف عن المصطلحات المنهجية المعاصرة فيه. ويشمل المقال النقاط التالية:

- 1- مفهوم الحداثة.
- 2- تعريف موجز للأمدي وكتابه "الموازنة".
- 3- منهج الأمدي على ضوء أسس منهج البحث العلمي المعاصر.
- 4- التماسك والتسلسل المنطقي في منهج الأمدي.
- 5- الموضوعية في عمل الأمدي.
- 6- الخاتمة: وهي عبارة عن ملخص المقال، ونتائجه.
- 7- المصادر والمراجع.

1- مفهوم الحداثة:

الحداثة لغة: من مادة حدث، يقال: هو حدث من الأحداث، وحديث

السن، وأحدث الشيء واستحدثه، قال الطرمّاح:

ظعانن يستحدثن في كل موقف رهينا وما يحسن فك الرهائن

واستحدث الأمير قرية وقناة، واستحدثوا منه خبراً؛ أي: استفادوا منه

خبراً جديداً (محمود بن عمر الزمخشري. بيروت لبنان، 2003م، ص172)

فمن المعني التي أوردها الزمخشري للكلمة؛ الشيء الجديد.

يقال: صار فلان أحدث، أي: كثّروا فيه الأحاديث. وشابَّ حدث

وشابة حدث: فتية في السن، والحدث من أحداث الدهر شبه النازلة

والأحداث: الحديث نفسه. والحديث الجديد في الشيء (خليل بن أحمد

الفراهيدي. بيروت لبنان 2003م، 292-293) . وهنا أيضاً ذكر أنّ من

معاني الكلمة الدلالة على الشيء الجديد.

وأما ابن منظور فقد جاء بتعريف كلمة (حدث) بقوله: "حدث،

الحديث: نقيض القديم، والحدث نقيض القدمة، وحدث الشيء يحدث

حدوثاً وحادثة، وأحدثه فهو مُحدث وحديث، وكذلك

استحدثه...والحدث كون الشيء لم يكن، وأحدثه الله فحدث،

ومحدثات الأمور ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء كان السلف

الصالح على غيرها، وفي الحديث: (إياكم ومحدثات الأمور) (حديث

العرباض بن سارية. رقم (4067). جمع محدّثة، وهي ما لم يكن معروفاً

في كتاب ولا سنة ولا إجماع" (ابن منظور، دار صادر، 1997 ص37)
شرح ابن منظور المادة واستفاض، كما جاء بمصطلح (الحداثة)
وذكر أنّها تعني: الجديد ضد القديم.

يتضح جلياً من خلال التعريفات اللغوية السابقة أنّ معظم المعاني
التي وردت لمصطلح (حداثة) و(حديث) و(استحدث) جاءت في
معنى الجودة عكس القَدَم، والحديث: مالم يكن معروفاً واستحدث فهو
جديد في زمانه.

واصطلاحاً:

عُرِّفت الحداثة بتعاريف عدة؛ منها:
"هي جدة إتيانٍ بالشيء الذي لم يؤت بمثله من قبل ويتحرر من إيسار
المحاكاة، والنقل، والاقْتباس واجترار
القديم، وقد تتمثل الحداثة في الأسلوب، أو في المضمون، أو في
الاثنتين معاً، فيكون صاحبها مبدعاً وخالق
مذهب جديد مطبوع بسمته المميزة" (عبد النور جبور ، بيروت: دار العلم
للملايين، 1979 ص 92)

يلاحظ هنا أنّ تعريف جبور لم يختلف عن التعريفات اللغوية
المذكورة في المعاجم السابقة - والكلمة عنده عبارة عن الشيء الجديد
الذي لم يؤت به من قبل، أو طرح مبتكر مختلف على غير منوال
سابق.

وتحدث مراد وهبة عن الكلمة في كتابه فقال: "قال جليوس، إنّ الوعي بالحداثة نشأ في العصر الوسيط، وكان المصطلح اللاتيني Saeculum Modernorum أمّا الصفة Modernus فقد ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي وترد إلى لفظ Mode أي المعيار أو المقياس" (مراد وهبة القاهرة، دار قبت، 2007 ص269) فهنا حاول مراد وهبة تعريف الحداثة تعريفاً تاريخياً فوقف على المصطلح عند بعض الغربيين، كما ذكر أنّ المصطلح يعني: المعيار، والمقياس، ولا يعني الباحث هذا الوجه في مقاله.

وأما التعريف الأدبي لمصطلح الحداثة فيعرفها بوزواوي بقوله: "Modernisms" (مودرنيزم) تعني: الجدة، ومواكبة العصر في مجالات الفكر ولاسيما في حقول الإبداع الأدبي والفكري والفني...وغالباً ما توضع الحداثة مقابل النزعة التراثية، ولطالما طرحت إشكالية العلاقة بين الحداثة والتراث" (محمد بوزواوي، الجزائر 2007 ص 104-105)

تكاد تتفق المعاني اللغوية والاصطلاحية المذكورة سابقاً؛ على أنّ الحداثة من هذا المنطلق تعني الإتيان بشيء جديد، فيقصد الباحث بالحداثة في هذه المقالة (العصر الحديث) لذا يريد أن يتناول بعض الجوانب التي جاء بها الأمدي في منهجه والتي تحمل معاني حديثة

تستخدم في العصر الحديث، وفي منهج البحث العلمي مع أنه عاش في القرن الرابع الهجري.

هذا، ولا يدعي الباحث أن هذه الملامح لم تكن موجودة في كتابات معاصري الأمدي، بل اللافت للنظر أن الأمدي الذي يوصف بعمودي الشعر، والداعي إلى الأصالة، ورغم ذلك ظهرت ملامح غير تقليدية في مؤلفه (الموازنة) والتي عيبَ عليه بالتعصب ضد أبي تمام.

ومن جانب آخر، تشير هذه الملامح إلى أن الأمدي ابن عصره، ذلك العصر الذي امتلأ بالثقافات العديدة وقد واكبها الأمدي مما يثبت للقارئ أن تقليده ليس تقليدًا أعمى، بل هو محايد.

2-تعريف موجز للأمدي وكتابه "الموازنة":

هو الحسن بن بشر، ويكنى بأبي القاسم، الأمدي الأصل، و"الأمدي" اسم مدينة، من أعظم مدن ديار بكر (السيوطي ، بيروت: المكتبة العصرية، 2009 ص423).

لم تذكر المصادر التي اطلع عليها الباحث تاريخ ميلاد الأمدي على الإطلاق، إلا أنه وُلد بالبصرة.

ولمّا بلغ الأمدي سنّ الشباب توجّه إلى بغداد، واختلف إلى مجالس العلماء يتلقى عنهم علوم اللغة، والنحو، والأدب، وقد تعلّم عند الأخفش (ت 215هـ)، والزجاج (ت311هـ)، وابن السراج (ت316هـ)، وابن دريد(ت321هـ)، وغيرهم. ولمّا عاد إلى البصرة

صار كاتباً للقضاة من بني عبد الواحد. ثم برز في الأدب، وصارت له شهرة واسعة فيه. وقد توفي الأمدي سنة 371هـ.

مؤلفاته:

وأما بالنسبة لمؤلفات الأمدي فيقول جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القطفي: "...وصنّف كتباً كثيرة، منها: كتاب "المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء" وكتاب نثر المنظوم" وكتاب {ما} في عيار الشعر {من الخطأ} ردّ على ابن طبا طبا" وكتاب فرق بين الخاص والمشارك من معني الشعراء" وكتاب "تفضيل امرئ القيس على الجاهليين" و "كتاب في أنّ الشاعرين لا تتفق خواطرهما" وكتاب: شدة حاجة الإنسان إلى أنّ يعرف قدر نفسه" وكتاب " تبين غلط قدامة ابن جعفر في كتاب نقد الشعر" وكتاب "معاني شعر البحري" وكتاب: "الموازنة" وكتاب " الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام" وغير ذلك..." (محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، 2004 ص322)

من خلال عرض الباحث للمؤلفات السابقة يُستنتج شيان:

- 1- أنّ الأمدي مثقف بثقافات عصره، لأنّه عصر كثر فيه العلوم والمعارف التي أنتجها الامتزاج بالأجانب، من فرس، ويونان وغيرهما، فتسرّبت العلوم الفلسفية إلى الأمة العربية.

2- ننظر إلى كتابين من مؤلفات الأمدي: "كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام" وكتاب في أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما".

يتضح جلياً أن الأمدي حاول في الكتاب الأول أن يرد على مؤلف جانبه الصواب في تخطئة أبي تمام. فهذا يدل دلالة واضحة على أن عمل الأمدي في الموازنة محاولة قيّمة في إبداء وجهة نظره بين البحتري وأبي تمام، ليس غيره.

وأما في الكتاب الثاني؛ فنلمس أنه قبل أية موازنة يكون للموازن ميله الخاص، لأنّ الخواطر لا تتفق، فإذا اتفق هذا الميل بما يوازن به شاعرًا آخر يشعر القارئ كأنه انحاز إلى ميله الخاص، وليس الأمر كذلك.

كتاب: "الموازنة" للأمدي:

جاء كتاب الموازنة نتيجة لسببين:

أ- ما أثيرَ عن القدامى من الميل إلى القديم حينما اهتموا بجمع وتقعيد اللغة العربية ليستخدموها في خدمة القرآن الكريم فتعصبوا تعصبًا شديدًا للقديم حتى إنهم وضعوا مدة زمنية لكل ما يستشهدون به. فكان هذا التعصب عنصرًا مهمًا لدواعي الخصومة بين أنصار البحتري وأبي تمام.

ب- والعنصر الثاني لهذه الخصومة هو تحكيم عمود الشعر¹.

فكل من البحتري وأبي تَمَام يستعمل عمود الشعر إلا أن أبا تَمَام كان من أصحاب البديع -كما يسميه الأمدي- فهو يدخل ثقافات عصره في القصائد. أما البحتري فأعرابي الشعر -كما يسميه الأمدي- فهو متمسك بتلك التقاليد القديمة في قصائده.

فهذان العنصران هما دافعان أساسيان لعمل الأمدي (الموازنة).

3- منهج الأمدي على ضوء أسس منهج البحث العلمي المعاصر:

صحيح أن منهج البحث قديمٌ جدًّا، إلا أن الباحث هنا يقصد به ما ذكره عبد الرحمن بدوي عنه بقوله: "...ولكنه لم يأخذ معناه الحالي أي: بأنه طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم إلا ابتداء من عصر النهضة الأوروبية..." (عبد الرحمن بدوي ، الكويت: وكالة المطبوعات، 1977 ص3).

فقد عاش الأمدي في القرن الرابع الهجري، وألف كتاب "الموازنة" في العصر نفسه، إلا أن قارئ هذا الكتاب يلمس كأن الأمدي معاصر عاش في العصر الحديث. وذلك لأن منهجه تبدو فيه ملامح الحداثة، فعلى هذا الأساس يود الباحث أن ينظر إلى منهجه على ضوء منهج البحث العلمي المعاصر، على النحو التالي:

أ-الخطة:

وهي: " رسمُ عامٌ لهيكل البحث، يحدّد معالمه، والآفاق التي ستكون مجال البحث، والدراسة" (عبد الوهاب إبراهيم ، جدة 1987 ص46)

هذا مصطلح معاصر في علم منهج البحث، فالأمدي رسم خطته قبل بداية عمله، حيث قال: "...وأنا أبتدئ بذكر مساوئ الشعارين لأختتم بذكر محاسنهما، وأذكر طرفاً من سرقات أبي تمام وإحالاته، وغلطه، وساقط شعره، ومساوئ البحتري فيما أخذه من معاني أبي تمام..." (بسيوني عبد الفتاح فيود القاهرة: 2010 ص170).

فالأمدي خلال النص السابق ذكر خطته التي يسلكها تدريجياً، وكأنّه باحث معاصر يخطط لما يقوم به في كتابه، مع أنّه لم يذكر بعض العناصر المطلوبة في الخطّة إلا أنّه تحدث عن شيء مهم وهو التبويب.

ب- الرسالة:

ولفظ الرسالة: "تسمية أكاديمية جامعية، تطلق على بحثٍ يُفرضُ على الطلاب في الجامعات للحصول على درجة بكالوريوس (B.A) أو درجة الماجستير (M.A)، وكذلك تطلق على البحث الطويل لفظة أطروحة، ويقابله في اللغة الإنكليزية (Dissertation)..." (ثريا عبد الفتاح ملحق، بيروت: دار الكتاب اللبناني ص26).

فقد أطلق الأمدي هذه اللفظة وكأنه أكاديمي في مناخ جامعي في كتابة بحثٍ للحصول على درجة علمية معينة، وتتجلى هذه الظاهرة في قوله: "...وأفرد باباً لما وقع في شعريهما من التشبيه، وباباً للأمثال أختتم به الرسالة..." (الأمدي القاهرة: دار المعارف ص6) فهذا يدل دلالة واضحة على استخدام الأمدي للمصطلحات المنهجية المعاصرة، مما يسعى المقال إلى تحقيقه. وبالتالي يشير هذا إلى ثقافة الأمدي الواسعة.

ج- جمع المواد العلمية:

ذكر الدكتور محمد عثمان الخشت بعض الأشياء التي تساعد الباحث على إجراء عمله؛ منها (محمد عثمان الخشت ، القاهرة ص 19)
- الاطلاع على بعض الأبحاث التي تناولت موضوعاً شبيهاً بموضوعه.

- الاطلاع على المراجع التي سبق أن تناولت الموضوع، أو دارت حوله، فهذه الأشياء تمد الباحث بكثير من الأفكار.

فالأمدي هو الآخر قام بجمع كل ما وصل إليه من كتب وروايات ونصوص تتعلق بالطائين وشعرهما، وبعد ذلك استمر في مناقشتها، وفحصها، وتحقيق نسبة تلك النصوص، وأخذ الصالح منها، ثم أضاف آراءه الخاصة (محمد علي أبو حمدة، دار المعرفة ص82)

د-المصادر:

"...ذكرُ المصادر والمراجع تأتي من دلالتها إمكانية إجراء البحث، ومن متطلبات الأمانة العلمية التي لا بد أن تلتزم بها الدراسات العلمية "

يذكر الأمدي المصادر الأدبية وغير الأدبية التي استقى معلوماته منها، فلا يكتفي بالإشارة إليها فقط، بل يذكرها ثم يذكر مؤلفيها، وربما يحدد الباب الذي أخذ عنه من الكتاب مثال ذلك قول الأمدي: "... وقد عاب أبو العباس عبد الله بن المعتز بعض هذه الأبيات في كتاب "البديع" جاء بها في قبح التجنيس..." أما البيت الذي قال فيه الأمدي هذا القول فهو قول أبي تمام

فاسلم، سلمت من الآفات ما سلمت سلام سلمى ومهما أورك السلم

وأما المصادر التي استفاد منها الأمدي فكثيرة؛ منها

- "الطبقات" لابن سلام الجمحي.

- "الشعراء" للشاعر دعبل الخزاعي.

- "البديع" لابن المعتز.

- "سركات الشعراء" لابن المعتز

فهذا يدل دلالة واضحة على الدقة، والموضوعية، والأمانة العلمية التي احتفظ بها الأمدي في كتابه: "الموازنة". وهذه السمات كلها من مقتضيات منهج البحث العلمي المعاصر.

والمصطلحات الأربعة التي جاء بها الباحث كنموذج على ما يراه من أن منهج الأمدي في الموازنة يتماشى مع طريقة المنهجيين المحدثين الأكاديميين.

4- التماسك والتسلسل المنطقي في منهج الأمدي.

يقول الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان: "...فالباحث كمهندس معماري، يهتم بالتركيبات، والقطاعات فيما بينها، كما يهتم بالشكل الخارجي، وإنما يمتاز مهندسٌ عن آخر كما يتميز باحثٌ عن آخر بلمساته الفنية، والتلاؤم بين الأجزاء في صورة متناسبة، وعرض أخذ..."

على الرغم من أن النقد في القرن الرابع الهجري يتسم بظاهرة التماسك، والتسلسل المنطقي، واتساع الآفاق، وتنوع النظرات، لما اجتمعت فيه من ثقافات أجنبية عديدة؛ إلا أن الأمدي في كتابه "الموازنة" أبدع إبداعاً جميلاً، ومعاصراً في هذا الجانب حتى إن

القارئ ليشم رائحة سمات منهج البحث العلمي المعاصر في كتابه. يقول الدكتور طه أحمد إبراهيم عن النقد في القرن الرابع الهجري: "...كان النقد في القرن الرابع خصباً جداً، وكان متسع الآفاق، متنوع النظرات، معتمداً على الذوق الأدبي السليم، مؤتنساً بمناحي العلم في الصورة والشكل لا في الجوهر والروح، إن حلل فبذوق سليم، وإن علل فبمنطق سديد..." (طه أحمد إبراهيم ، بيروت: دار القلم، 1998 ص 137).

بدأ الأمدي موازنته بالمحاجة بين أنصار أبي تمام، وأنصار البحتري، يقول الأمدي: "... وأنا أبتدى بذكر ما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى، عند تخصصهم في تفضيل أحدهما على الآخر... أنى الأمدي بالاحتجاج من أول وهلة على أن يكون النقطة الأولى، فمن خلالها يعرض للقارئ سبب تأليفه هذا الكتاب. وبعد أن اختتم الأمدي برصد هذه المحاجة؛ ذكر خطته التي أشار الباحث إليها من قول الأمدي: "...وأنا أبتدى بذكر مساوي هذين الشاعرين... إلخ".

وقد تطرق الأمدي إلى سرقات أبي تَمَام وإحالاته، وغلطه، وساقط شعره، فقَدَّمه على البحتري وجاء بأمثلة كثيرة شعرية للدلالة على ذلك. وبعد أن انتهى من هذا الموضوع جاء بسرقات البحتري من أبي تَمَام ومثّل بأمثلة كثيرة؛ منها:

قول أبي تَمَام:

فسواء إجابتي غير داع ودعائي بالقفر غير مجيب
قال البحتري:

وسألت من لا يستجيب فكنت في استخباره كمجيب من لا يسال

الذي يهّم الباحث هنا التمثيل بسرقة البحتري من أبي تَمَام لأنّ ذلك سيساعده عند محاولة تحديد الموضوعية في عمل الأمدي. وبعد أن ذكر الأمدي سرقات البحتري من أبي تَمَام والعكس، ثمّ وازن بين الشاعرين. فهذا أيضاً يدل دلالة واضحة على تلاحم وتماسك منهج الأمدي. جدير بالذكر أنّ الأمدي لا يبدي رأيه عند الموازنة، بل يترك المجال للقارئ لنلا يقلده في تذوقه. ويلمس من ذلك كأنّه يستخدم المنهج الوصفي في عمله. يقول الأمدي: "...أنا أذكر بإذن الله في هذا الجزء المعاني التي يتفق عليها الطائيان، فأوازن بين معنى ومعنى وأقول أيهما أشعر في ذلك

المعنى بعينه، فلا تطلبني أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك أيهما أشعر عندك على الإطلاق فإني غير فاعل ذلك..."

ثم استمر الأمدي بذكر أنه سيفرد بابا لما وقع من شعر الطائيين من التشبيه، وبابا للأمثال، ثم يتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما، ويجعله مؤلفاً على حروف المعجم ليقرب متناوله، ويسهل حفظه.

وقد ذكر محمد علي أبو حمدة أنّ بابي: التشبيه، والأمثال ثم الاختيار المجرد لم تصل إليهم بعد.

هذا هو التماسك في منهج الأمدي، ويؤكد ما ذهب إليه الباحث من هذا التلاحم والتماسك في منهج الأمدي الدكتور عبد الله حمد محارب الذي انتقد الأمدي نقداً سلبياً في منهجه إذ يقول: "...أما منهجه فقد تجلت فيه الدقة والترتيب المنطقي، والفني..." (الأمدي، القاهرة 1990 ص9).

ويبدو للباحث أنّ هذا التماسك هو الذي يدعو إليه منهج البحث العلمي المعاصر، والذي جعل الأمدي يقوم بالموازنة المقسطة بين الطائيين، فلم يفضل أحدهما على الآخر على الإطلاق، بل وازن بين قصيدة وقصيدة، وبين معنى ومعنى، وهكذا.

خلاصة القول: يتماشى منهج الأمدي- في أغلب الأحيان- بما نعرفه اليوم بـ "منهج البحث العلمي" لما فيه من مصطلحات

معاصرة والتي تحمل المعنى الذي يرمي إليه المنهجيون المحدثون. كما يوجد التلاحم العضوي المطلوب في كتابة أي بحث أكاديمي معاصر. فهذه الموازنة في رأي الباحث ليست موازنة بين الشاعرين فحسب بل هي أعم من ذلك، فهي موازنة درست الموضوعات الشعرية العديدة.

5-الموضوعية في عمل الأمدي:

ذكر الدكتور فاروق محمود الحبوبي أن الأمدي أخذ على نفسه عهداً في كتابه بأن يكون موضوعياً في موقفه، ومحايذاً معتمداً على الحق، ومتجنباً الهوى (فاروق محمود الحبوبي ص 189) فما هي الموضوعية عند الباحثين المعاصرين؟

يقصد الباحثون المعاصرون بالموضوعية جانبين مهمين؛ هما:

أ- حصر الدراسة، وتكثيف الجهد في إطار موضوع البحث بعيداً عن الاستطراد، والخروج عن موضوع البحث إلى نقاط جانبية هامشية مما يشتت أفكار القارئ.

ب- تجرد الأفكار والأحكام من النزعات الشخصية، وعدم التحيز مسبقاً لأفكار، أو أشخاص معينين، فالهدف الأول والأخير من البحث هو التوصل إلى الحقيقة كما هي، مؤيدة بالأدلة والشواهد، بعيدة عن المؤثرات الشخصية والخارجية التي من شأنها أن تغير الموازين.

وهذا الجانب الثاني هو الذي يقصده الباحث في مقالته.

لا شك أنّ منهج البحث الأكاديمي يدعو إلى الموضوعية، وهي تزيد عمل الباحث نزاهة وقبولاً. فقبل أن يتحدث الباحث عن موضوعية الأمدي أو عدم موضوعيته يود أن يقف على نقطتين أساسيتين؛ هما:

النقطة الأولى: زمن تأليف كتاب الموازنة:

هناك اختلاف بين العلماء في زمن تأليف هذا الكتاب؛ فمنهم من يرى أنّه أُلّف بعدما انتهت الخصومة بين أنصار كل من الشعارين. ومن هؤلاء الدكتور محمد مندور حيث يقول: "...الذي لا شك فيه أنّ الأمدي لم يكتب كتابه أيام عنف الخصومة بين أنصار أبي تمام، والبحري. وذلك لأنّ أبا تمام توفي سنة 231هـ، والبحري توفي سنة 284هـ، وأمّا الأمدي فتوفي سنة 371هـ. فقد جاء بعد أن كان الزمان قد هدأ من حدة الخصومة، وكان الأدباء قد أخذوا في الاقتتال حول رجل آخر هو المتنبي..." (محمد مندور ؛ القاهرة 1996 ص 98).

وقد تبع محمد أبو علي حمدة، الدكتور محمد مندور في هذا الرأي، فذكر أدلة كلها تثبت الرأي المذكور (أبو القاسم الأمدي ص 80-81) وبالمقابل هناك جماعة من العلماء من يرى أنّ الكتاب أُلّف إبان اشتداد الخصومة حول شعر الطائيين، أمثال الدكتور عبد الله حمد

محارب الذي حقق المجلد الثاني من كتاب الموازنة. استدل هذا الباحث بأدلة؛ منها:

- عرض الأمدي أقوال الخصوم في الموازنة، فهذا يدل على

أنّه ألّفها بعد اطلاعه على كتاب: أخبار أبي تمام للصولي.

وهذا الكتاب يشير صاحبه إلى أنّه ألّفه أثناء عنف الخصومة.

يرى الباحث أنّ ثمرة هذا الاختلاف ترجع إلى شيئين:

أ- لو كان الأمدي ألّف الكتاب في شدة عنف الخصومة لكان ذلك

مساعدته للرد على أصحاب أبي تمام إذ يراه أصحاب هذا الرأي أنّه

يتعصب للبحثري.

ب- وأما إذا كان تأليف الكتاب بعد انتهاء الخصومة فيُعد هذا العمل

منصفاً لأنّه جمع آراء كل فريق ووضعها في كفتي الميزان، ووضع

مقاييسه عليها، فاستطاع بذلك أن يبرز للقارئ إيّاها، فيميل إلى أيها

شاء.

النقطة الثانية: أقوال العلماء في عمل الأمدي:

انقسم العلماء في عمل الأمدي إلى قسمين:

1- الذين يرون عدم الموضوعية في عمله؛ ومنهم:

أ- المؤرخ الأديب ياقوت الحموي في كتابه: معجم الأدباء حيث

يقول: "...وكتاب الموازنة للأمدي بين الطائيين في عشرة

أجزاء، وهو كتاب حسن، وإن كان قد عيب عليه في مواضع

منه، ونُسب إليه الميل إلى البحتري فيما أورده... وأنه جَدّ واجتهد في طمس محاسن أبي تَمّام، وتزيين مردول البحتري، ولعمري إنّ الأمر كذلك..." (ياقوت الحموي ص 333).

بالنظر إلى النص السابق يبدو جلياً أنّ الحموي لا يرى موضوعية الأمدي، بل اعتبره منحازاً إلى جانب البحتري، فزَيّن محاسنه، بينما طَمَسَ محاسن أبي تَمّام.

ب- الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، يقول: "...وأذكر ما تجمّع لدي من الملاحظات عليه (كتاب الموازنة للأمدي بعد أن صحبته عمرًا ليس بالقصير) وأحدثك -على الأخص- عن تحامله (أي الأمدي) على أبي تَمّام، وإغضائه البالغ عن البحتري..."

ج- الناقد الدكتور خفاجي، حيث يقول: "...تحامل الأمدي في كتابه على أبي تَمّام، وذلك ظاهر كما إُسلفنا من روح الموازنة واتجاهها..."

هذا قليل من الأمثلة العديدة التي ترى عدم الموضوعية في عمل الأمدي، والتي تشير إلى تحامله على أبي تَمّام، ولا غرابة في ذلك لأنّ العلماء اعتادوا هذه الاختلافات، فلكل وجهة نظر (الرأي، والرأي الآخر)، وبعبارة أخرى (الاتجاه المعاكس).

2- الذين يرون الموضوعية في عمل الأمدي؛ عن طريق

مباشر، أو غير مباشر:

والذين رأوا الموضوعية في عمل الأمدي عن طريق مباشر؛ منهم:

أ- د. محمد مندور؛ الذي أظهر لنا جلياً أنّ الأمدي ناقدٌ بمعنى الكلمة، والنقد عبارة عن الذوق، وقد أبدى الأمدي ذوقه الأدبي من خلال موازنته، وهذا أيضاً أمر طبيعي لأن لكل ناقد ميولاته النقدية الخاصة، فهل يعاب إن أبداه؟

ب- السيد أحمد صقر؛ الذي يقول: "...والحق الذي لا مرية فيه أنّ كتاب الموازنة جدير بإكبارهم، ولا أحسب أنّ أحداً منهم بعد قراءته له في هذه الطبعة سينكر علي قولي: إنّ الأمدي أعظم نقاد الأدب العربي، وإمامهم الذي لا يضارع ولا يجارى، وإنه في تاريخ النقد أمة وحده في دقة منهجه وأصالة رأيه وعمق فكره ونصاعة أسلوبه، وشدة إخلاصه للمهمة الشاقة التي جرّد عزمه لها..."

فالأستاذان أشادا بعمل الأمدي وبيّنا أنّ فيه موضوعية، لأنّه لم يركن إلى أحد الطائيفين، بل وازن موازنة حقيقية، وهذا هو الذي يتطلبه منهج البحث المعاصر في وصفه للبحث الجاد أن توجد فيه موضوعية.

وأما ما يؤيد الموضوعية في عمل الأمدي ونزاهته عن طريق غير مباشر، فلنتذكر دائماً أنّ الأمدي عمودي الشعر؛ وليس هو الذي اخترع هذا المصطلح، فهناك من جاءوا قبله وتمسكوا به، فمنهم على سبيل المثال:

أ- ابن قتيبة (ت 275هـ) فهو يعتبر أنّ هذا المسلك في منتهى الإجادة، شعراً وشاعرية؛ يقول: "...فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحداً أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد..."

ب- قدامة بن جعفر (ت 337هـ) الذي كان معاصراً للأمدي، والذي يرى وجوب تألف اللفظ والمعنى، وكذلك الوزن والقافية، ولكنه مع ذلك يخصص بالدرجة الأولى الوحدة، ويشترط أن يكون لكل بيت معنى تام مستقل، فإذا جاء شاعر بالمعنى الذي يريد في بيت واحد كان ذلك أشعر. فالمثالان السابقان نموذجان لبعض النقاد من المتمسكين بما تمسك به الأمدي من عمود الشعر، مما يدل دلالة واضحة على أنّه ليس البادئ لهذه الفكرة، وإنما اقتبسها من غيره، فعن طريق غير مباشر هذه مساندة لمذهب الأمدي.

أما الباحث؛ فينظر إلى عمل الأمدي بمنظار بعيد عن الميل إلى كلا الجانبين، لكن لربما يكون أقرب إلى رأي الذين يرون الموضوعية في عمل الأمدي، وبالتحديد رأي الدكتور محمد مندور الذي يرى أن النقد ذوق، ولا عيب على الناقد أن يبدي ذوقه تجاه أي عمل أدبي.

ولم يتخذ الباحث هذا القرار إلا بعد جمع بعض الحجج عليه؛ منها:

أ- أن الأمدي معروف بتمسكه بالقديم (عمود الشعر)، وهو مقياسه الكبير في تذوق النصوص الأدبية، والبحتري يستعمله كثيرا في أشعاره، على العكس من أبي تمام، فهل يُعد هذا عيباً إن طبق أحدهما ما ذهب إليه المؤلف والعكس على غيره؟ أفتمارونه على ما يرى؟ ثم إنه أشار الباحث إلى أنه ليس الأمدي فقط ذهب إلى هذه الفكرة، فقد سبقه علماء أمثال: ابن قتيبة، وقدامة ابن جعفر، وهناك المزيد الذي لم يذكره الباحث في هذه المقالة من أمثال: أبو عمرو بن العلاء (ت150هـ)، الذي كان شديد التعصب للشعر الجاهلي، ولا يعد الشعر شعرا إلا إذا كان على نهج المتقدمين، وابن الأعرابي (ت231هـ) الذي يقول: "...إن كان هذا شعر فكلام العرب باطل..." يقو ذلك عن شعر أبي تمام .

ب- محاولة الإنصاف في عمل الأمدي: وهذا أيضاً ممّا جعل الباحث يعترف بالموضوعية في عمل الأمدي، وتتجلى هذه الظاهرة في قوله: "...أما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكني أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقا في الوزن والقافية...ثم احكم أنت حينئذ إن شئت على جملة ما لكل واحد منهما..."

فهذا يدل دلالة واضحة على محاولة الأمدي الإنصاف في موازنته بين الطائيين، لأنه كما ذكر في النص السابق، أنه يوازن فقط، ويترك المجال للقارئ ممّا يؤكد موضوعيته التي يراها الباحث. كما يرى الباحث أنّ اللأمدي بعمله هذا استخدم المنهج الوصفي، فقد وصف:

- أخطاء أبي تمام وعيوبه، ثم أخطاء البحتري وعيوبه.

- محاسن كل منهما.

- الموازنة التفصيلية بينهما بين معنى ومعنى.

الخاتمة

ناقش المقال مفهوم الحداثة، ثم تطرق إلى تعريف موجز للأمدي وكتابه الموازنة، ثم تحدّث عن منهج الأمدي في هذا المؤلف على ضوء قواعد منهج البحث العلمي في العصر الحديث حيث وقف على بعض هذه المصطلحات، كما وقف المقال على بعض سمات منهج البحث العلمي نحو: التماسك، والتسلسل المنطقي في منهج الأمدي، ثم تحدث المقال عن الموضوعية في المؤلف المدروس. وقد أسفرت هذه الجولة على بعض النتائج منها:

- أن الأمدي مثقف بثقافات واسعة، حتى دعتّه إلى رسم خطته في الكتاب قبل بداية العمل.

- الدقة والموضوعية في منهج الأمدي، وذلك ممّا يسعى منهج البحث المعاصر إلى تحقيقه.

- هناك مصطلحات منهجية معاصرة في منهج الأمدي، نحو الرسالة، وجمع المادة العلمية، والمصادر التي استقى معلوماته منها.

- الأمدي طبّق بعض المصطلحات التي تستخدم في منهج البحث العلمي في العصر الحديث.

- تشير هذه الملامح إلى أن الأمدي ابن عصره، ذلك العصر الذي امتلأ بالثقافات العديدة وقد واكبها الأمدي ممّا يثبت للقارئ أن تقليده ليس تقليداً أعمى، بل هو موضوعي.

المصادر والمراجع:

- محمود بن عمر الزمخشري. أساس البلاغة. تحقيق: باسل العيون السود. (ط1؛ بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، 2003م).
- خليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. تحقيق عبد الحميد هندراوي. مادة (حدث) (ط1؛ بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 2003م).
- محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب. مادة (حدث) (ط1؛ بيروت لبنان: دار صادر، 1997م).
- عبد النور جبور. المعجم الأدبي. (ط1؛ بيروت: دار العلم للملايين، 1979م).
- مراد وهبة. المعجم الفلسفي. (دون عدد الطبعة؛ القاهرة: دار قيتاء، 2007م).
- محمد بوزواوي. قاموس مصطلحات الأدب. (دون عدد الطبعة؛ الجزائر: دار مدني، 2007).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. (ط1؛ بيروت: المكتبة العصرية، 2009م).
- أنباه الرواة في أنباء النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط1؛ بيروت: المكتبة العصرية، 2004م).
- عبد الرحمن بدوي. مناهج البحث العلمي. (ط3؛ الكويت: وكالة المطبوعات، 1977م).
- عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان (الدكتور). كتابة البحث العلمي صياغة جديدة. (ط3؛ جدة: دار الشروق، 1408هـ-1987م).
- بسيوني عبد الفتاح فيود. (الدكتور). قراءة في النقد القديم. (ط1؛ القاهرة: 2010م-1431هـ).

- ثريا عبد الفتاح ملحق. منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين.
(دون عدد الطبعة؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ت).
- الحسن بن بشر الأمدي. الموازنة. تحقيق: أحمد صقر (ط4؛ القاهرة:
دار المعارف، د.ت).
- محمد عثمان الخشت (الدكتور). فن كتابة البحوث العلمية وإعداد
الرسائل الجامعية. (دون عدد الطبعة؛ القاهرة: مكتبة الساعي، دون
تاريخ).
- محمد علي أبو حمدة. أبو القاسم الأمدي وكتابه: "الموازنة". (دون
عدد الطبعة؛ ومكان الطبع: دار المعرفة، د.ت).
- طه أحمد إبراهيم (الدكتور). تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر
الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري. (ط1؛ بيروت: دار القلم،
1998م).
- الحسن بن بشر الأمدي. الموازنة. تحقيق: عبد الله حمد محارب
(الدكتور) (ط1؛ القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990م).
- محمد مندور (الدكتور). النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في
الأدب واللغة. (دون عدد الطبعة؛ القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة
والنشر والتوزيع، 1996م).